

سورة الكهف نموذج للقصاص القرآني

..... كذلك أيضا مما مر بنا قصة ذي القرنين ذكرها الله تعالى في القرآن، وسبب نزولها أن مشركي العرب من قريش لما اشتهر النبي -صلى الله عليه وسلم- ونزلت عليه هذه الآيات والسور القرآنية؛ شكوا في نبوته، فأرسلوا إلى اليهود بالمدينة يسألونهم عن أمره أنه خرج عندنا بشر يدعي أنه نبي، وأنه ينزل عليه الوحي من السماء، وأنه مرسل من الله تعالى، وأنتم أهل كتاب فأخبرونا هل هو نبي كما تعرفون، أو ليس بنبي؟ فكتب اليهود إلى أهل مكة يقولون: سلوه عن ثلاث مسائل فإن أخبركم بها فهو نبي، وإن لم يخبركم فهو رجل متقول كذاب، سلوه عن فرقة أو فتية انعزلوا من أهلهم وأبائهم؛ فإنه كان لهم أمر عجيب، وسلوه عن رجل طواف طاف المشرق والمغرب، وسلوه عن الروح. فلما جاء أولئك أتوا إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- فقالوا: أخبرنا عن فتية فارقوا أهلهم وأبائهم وقومهم وكان لهم حديث عجيب، وأخبرنا عن رجل طواف وصل المشرق والمغرب وما كان من أمره، وأخبرنا عن الروح. ثم إن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: أخبركم عنها غدا ولم يقل إن شاء الله؛ فعاتبه الله وتأخر عليه الوحي، وبقي خمسة عشر يوما ما نزل عليه الوحي، فعند ذلك نزلت عليه سورة الكهف أخبر الله في أولها عن قصة الفتية الذين هم أهل الكهف: { إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّناهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ } وأول القصة قوله: { أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا } إلى آخر القصة، وقال في آخرها: { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ } فعاتبه. الله علي عدم استثنائه بقوله: { إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ } أو إن شاء الله، فأخبره بقصة أصحاب الكهف وقد كان لهم حديث عجيب إذا تأملت قصتهم، ولكن توسع المفسرون فيهم وذكروا فيهم حكايات لا أصل لها ولا دليل عليها وإنما هي مأخوذة من كتب بني إسرائيل. ثم نزل في آخر السورة قصة ذي القرنين الرجل السيار الذي بلغ مشارق ومغاربها أو مطلع الشمس ومغربها، أخبر الله تعالى بقصته في هذه السورة أنه أتبع سببا لما قال الله له: يا ذا القرنين { إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا } قال: { أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ } إلى آخر القصة، فذكر أنه وصل إلى مغرب الشمس { وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ } وقرأها بعضهم: "في عين حامية" أي حارة أن وصل إلى هذا البحر الذي يتوقف عنده، ولم يستطع أن يتجاوزه وإذا الشمس تغرب في ذلك البحر ولا يدري ما وراءه، ثم إنه رجع وأتبع سببا حتى بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لا يكادون يفقهون قولا، وجدها تطلع كما أخبر الله: { حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِنْرًا } لا يكادون يفقهون قولا { كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا } وأخبر تعالى بأنهم لا يفهمون كلامه ويمكن أن هناك من يعبر لهم ويترجم لهم.